

بين القرآن التاريخي والقرآن باعتباره الرؤية الكونية

Between the Historical Quran and the Quran as the Cosmic vision

د/ بن حبيب عبد المجيد

¹ جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان - الجزائرBenhbibmajdi@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/05/20

تاريخ القبول: 2024/05/11

تاريخ الاستلام: 2024/05/05

ملخص:

سنتناول في هذا العمل العلمي حول القرآن العظيم مساهمتي الباحثين: محمد علي أمير معزي، من جهة، ومحمد أبو القاسم حاج حمد، من جهة أخرى.

من ناحية، ينصب اهتمام الباحث محمد علي أمير معزي بالنص القرآني باعتباره نصا تاريخيا. بكلمات أخرى، يتمحور اهتمام الباحث المذكور حول دراسة القرآن بغض النظر عن قداسيته، حيث ينظر إليه خارج إطار الاعتقاد. فالقرآن، من هذا الزاوية، هو وثيقة ظهرت في زمن ما في المعيش البشري. على المهتمين بتلك المدونة أن يتفحصوا مضامينها من دون التساؤل حول القيمة الإلهية لذلك النص. يتطلب الأمر هنا العمل على معاني المتن القرآني من حيث الفحص التاريخي والأركيولوجي من دون الالتفات إلى البعد التعبدي الذي ينغمس فيه المتعبدون بالنص القرآني والذي يحيطه، من هذه الزاوية هالة التقديس الذي تمتزج فيه انفعالات شتى تخترق المتعبّد بالقرآن حيث شعور هذا الأخير بالخوف من عدم اتباع أوامره والشعور بالسعادة عند تطبيق مضامين القرآن والرجاء في الحصول على الرضى الإلهي بفعل التعبّد بالقرآن، وغير ذلك من الانفعالات سواء منها الإيجابية و/أو السلبية المحيطة بالقرآن عند التعبّد به.

من ناحية أخرى، يتمحور اهتمام الباحث محمد أبو القاسم حج حمد بالنص القرآني باعتباره نصا يعد الرؤية الكونية التي على المسلمين التمسك بها. بكلمات أخرى، يتمحور اهتمام الباحث المذكور حول دراسة القرآن ليس باعتباره فقط نصا مقدّسا وإنما على أنه هو النص المقدّس بامتياز ولا يضاهيه في تلك

القداسة كلام آخر و/أو نصا مغايرا. فينظر مفكر محمد أبو القاسم إلى القرآن باعتباره النص الذي على المسلم حصر اعتقاده فيه لأنه نص إلهي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وحتى إذا ظهر القرآن في لحظة تاريخية معينة، أي في بدايات القرن السابع إلا أن الغرض من نزوله هو التعبد به حصرا. أي يتعلق الأمر بعيشه من طرف المسلم والبشرية جمعاء فهو "رحمة للعالمين". من هذا المنطلق يرى محمد أبو القاسم حاج حمد أن على الباحثين المسلمين إثناء الاهتمام بالقرآن العظيم من منظور تحليل مضامينه والتساؤل حول تلك المضامين لغرض بناء مفاهيم قرآنية تنافس المفاهيم التي يبنونها الباحثون في مختلف العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية. ضمن هذا الصدد، يتعلق الأمر باستبدال مفاهيم العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تعد مفاهيم بشرية بمفاهيم إلهية تتخلل القرآن العظيم. من هنا يكون تعبد المسلم المؤمن بإلهية النص القرآني مرتكز على مرجعية مفاهيمية متينة مصدرها القرآن العظيم باعتباره نصا إلهيا لا شك في مرجعيته هذه.

كلمات مفتاحية: القرآن العظيم، المفاهيمي، السياقي، التاريخي.

Abstract:

In this scientific work on the Great Koran, we will address the contributions of researchers: Muhammad Ali Amir Mazzi, on the one hand, and Mohammed Abu al-Qasim Haj Hamad, on the other. On the one hand, researcher Muhammad Ali Amir Mu 'azi's interest in the Koranic text is as a historical text. In other words, the scholar's interest revolves around studying the Koran regardless of its sanctity, where he is viewed outside the framework of belief. From this angle, the Koran is a document that emerged at some point in human life. Those interested in that code should examine its contents without questioning the divine value of that text. It is necessary here to work on the meanings of Quranic toughness in terms of historical and archaeological examination without paying attention to the devotional dimension in which worshippers indulge in the Quranic text that surrounds it From this point of view the aura of sanctity in which various emotions are mixed that penetrate the devotee of the Koran, where the latter is afraid not to follow his orders and feel happy in applying the contents of the Koran and the hope to obtain divine consent by worship of the Koran,

Other impulses, both positive and/or negative, surrounding the Koran's worship.

On the other hand, researcher Mohammed Abu al-Qasim Haj Hamad's interest in the Quranic text is centred on the Quranic text as a text that counts the cosmic vision that Muslims have to uphold. In other words, the scholar's interest revolves around the study of the Koran not only as a sacred text, but as the sacred text with distinction and not matched by other words and/or otherwise. Muhammad Abu al-Qassim's intellectual mind views the Koran as the text in which a Muslim has to confine his belief because it is a divine text that neither his hands nor his successors bring falsely. Even if the Qur'an appeared at a certain historical moment, early in the seventh century, its descent was intended exclusively to worship it. It is a matter of living by all Muslims and mankind. It is a "mercy to the world." According to Mohammed Abu al-Qasim Haj Hamad, Muslim researchers must develop interest in the Great Koran from the perspective of analysing its contents and questioning those contents for the purpose of building Koranic concepts that compete with the concepts that researchers build in various humanities and social sciences. In this regard, it is about replacing human and social concepts that are human concepts with divine concepts that permeate the Great Koran. From here.

Keywords: The Great Quran, conceptual, contextual, historical.

⁽¹⁾ المؤلف المرسل: بن حبيب عبد المجيد

1. مقدمة:

يتعامل الباحثون الأكاديميون مع النص القرآني باعتباره نصاً مقدساً في مجال الدراسات الدينية، من خلال مجموعة متنوعة من العدسات والمنهجيات. تعكس هذه التناولات الإستمولوجية فهماتهم المتعددة لآياته ولتعاليمه. هذا التنوع العلمي متأصل في الطبيعة الديناميكية للمقاربات التي تتخلل مجال الدراسات القرآنية التي تتخذ من الخطاب القرآني مجالاً لمختلف التأويلات العقدية والتفسيرية والتشريعية، إلخ. مصدر هذا الاختلاف الذي يتخلل تأويل المتن القرآني هو اشتغال هذا النص للأبعاد التاريخية واللاهوتية واللغوية والأنثروبولوجية وغير ذلك من الأبعاد.

من هذا المنطلق نحاول في هذا العمل المتواضع تسليط الضوء على عمل باحثين أكاديميين في مجال الدراسات القرآنية. نحيل هنا إلى كل من المستشرق الفرنسي، ذوي الأصول الإيرانية، محمد علي أمير معزي (Amir-Moezzi, 2019) والباحث الإسلامي السوداني محمد أبو القاسم الحاج حمد (حاج حمد ، 2004). يعد معزّي باحث فرنسي مهتم بالتناول التاريخي للقرآن حيث يضعه في سياقه الزمني الذي يقول عنه الباحث معزي أن هذا النص يفهم على ضوء ربطه بالنصوص الأخرى التي تتقاطع في اهتماماتها مع العديد من المضامين القرآنية، حسب رأي الباحث معزّي. أما بالنسبة للباحث السوداني حاج حمد فهو يتموقع على النقيض من الباحث المستشرق محمد أمير معزّي. فقد كان همُّ المفكر حاج حمد هو العمل الأكاديمي على القرآن العظيم لبلوغ صياغة مفاهيم قرآنية محضة، أي من مضمون القرآن في حدّ ذاته حيث يكون الغرض مواجهة المفاهيم التي يصيغها الفكر الغربي أو الأورو-أمريكي بمفاهيم قرآنية إلهية هي متعالية في خد ذاتها على اعتبار أن مصدر هذه المفاهيم هو الإرادة الإلهية للخالق وليس التفكير البشري لمخلوق محدود في الزمن وفي المكان وفي كيفية خلقه من طرف الخالق، أي الله عز وجل. وعلى الرغم من أن كل من شخصيتين، أي أمير معزّي وحاج حمد ساهمتا في مجال الدراسات القرآنية. إلا أنه لكل من الباحثين وجهة نظر متميزة حول أهمية القرآن ورهانه وطريقة تلقّيه والتدليل عليه واستوعاب معانيه.

1. محمد علي أمير معزي وتبئير الاهتمام بالقرآن التاريخي:

يتجه الباحث محمد علي أمير معزي في طريقة استوعاب النص القرآني في المقام الأول من حيث أن هذا الأخير متن أثري تاريخي. ضمن هذا الصدد، يؤكد الباحث معزي على أن للقرآن امتداد زمني قبل وبعد ظهوره، مؤكداً على أصوله التاريخية وسياق رهاناته بربطه مع النصوص المقدسة الأخرى ككتاب العهد القديم وكتاب العهد الجديد وغير ذلك من النصوص. نشير ضمن هذا الصدد، أن الباحث معزي يركز في هذا الاستكشاف والبحث التاريخي على أهمية مفهوم منهجي يتخلل الدراسات القرآنية من منظور استشراقي. نحيل، ضمن هذا الصدد، إلى مفهوم التناص Intertextuality الذي يحيل إلى "العلاقات الصريحة

والضمنية التي لدى نص أو ملفوظ مع نصوص سابقة ومعاصرة ومحتملة في المستقبل" (Bazerman, 86: 2004). هذا الذي يجعل النص القرآني، من منظور الباحث الاستشراقي معزي، يتطور بمرور الوقت. من منطلق ما أشرنا مركز الباحث معزي في دراسته على وضع القرآن تاريخيا في المشهد الاجتماعي والسياسي والثقافي للجزيرة العربية قبل ظهور ذلك النص في القرن السابع وأثناء استقباله وبعد الانتهاء من تدوينه. هذا الذي أدى بالباحث معزي بتناول واستكشاف الفروق والاختلافات النصية التي تتخلل القرآن من منظور عدسة التناول الدياكروني From the diachronic outlook. ضمن نفس هذا المسار، تسعى أبحاث معزي أيضا، وكنتيجة للتناول التاريخي للنص القرآني، إلى كشف دور القرآن في تشكيل المجتمعات الإسلامية المبكرة وفهم أهميته ضمن الروايات التاريخية الأوسع من منظور ما يسمى بالديانات الإبراهيمية، أي اليهودية والمسيحية. بكلمات أخرى، من بين ما تسعى إليه أبحاث معزي هو الاهتمام بالتلقي التاريخي والأنثروبولوجي للنص القرآني على اختلاف الجماعات والمجتمعات التي تتفاعل مع هذا المتن. ف سواء تم ذلك التلقي من طرف المجتمعات الإسلامية أو من قبل المجتمعات غير الإسلامية، سواء منها الكتابية، أي اليهود و/أو النصارى، أو تم ذلك التلقي من طرف المجتمعات المتعددة الآلهة، فهذا يندرج ضمن التلقي المتعدد والمتنوع الذي تعيشه مختلف المجتمعات اتجاه القرآن باعتباره نصا مقدسا يلقي اهتماما وتمثلا مختلفين من مجتمع لآخر.

2. اهتمام محمد أبو القاسم حاج حمد بالمفهمة القرآنية:

من ناحية أخرى، ينظر المفكر محمد أبو القاسم الحاج حمد إلى القرآن العظيم من حيث أنه وحي إلهي كوني ذو أبعاد عقديّة وروحية وما ورائية عميقة. ضمن هذا المسار، يؤكد الباحث حاج حمد على مركزية فكرة المصدر الإلهي للنص القرآني. إن تأكيد حاج حمد على إلهية النص القرآني مهم بالنسبة إليه. فهذه الفكرة هي التي تسمح للباحث المسلم ببناء مفاهيم قرآنية محضة تعد مفاهيم يواجه بها الباحث المسلم نسبية المفاهيم المميّزة لمختلف العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية التي تعد مصدر إلهام واستلهام وولوع بالنسبة للباحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية ولكن ليس فقط عل اعتبار أن المستشرقين في الدراسات الإسلامية والقرآنية بشكل أخص يرجعون، في تصوراتهم النظرية وفي السوابق المفاهيمية وفي الممارسات التأويلية التي يطبقونها

على المتن القرآني، فهم يرجعون إلى مفاهيم العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية حتى يستوعبوا النص القرآني. من هذا المنطلق يواجه الباحث السوداني المسلم محمد أبو القاسم حاج حمد تلك المفاهيم التي تعد نسبية، بحكم أنها إنسانية المصدر. من هذا المنطلق يقوم الباحث حاج حمد بالتبشير على المفاهيم القرآنية التي تعد، بالنسبة إليه، مصدر تثوير البحث القرآني بالمعنى الإسلامي للكلمة (حاج حمد، 2003). بكلمات أخرى، إذا كان البحث الاستشراقي يتناول العمل على القرآن من خارج حدوده حيث يتم التركيز على تاريخانية المتن القرآني، فإن الباحث محمد أبو القاسم حاج حمد يراهن على البحث السانكروني The synchronic Qur'anic research الذي يهدف إلى البحث في المضامين الدلالية والبلاغية والتداولية (عبر أدائي الحوار والسرد) التي تتخلل النص القرآني من حيث التركيز حصرا على المصحف المتداول في العالم الإسلامي حيث تعد نسخة القاهرة لسنة 1928 (Albin, 2004) هي النسخة المتفق على مصدرها الإلهي في العالم الإسلامي، من جاكارتا إلى طنجة، حيث ليس هناك تشكيل في إلهية تلك النسخة من المصحف الشريف. من هذا المنطلق نفهم كيف أن المفكر أبو القاسم حاج حمد يشدد على أهمية الرسالة الخالدة التي تميز القرآن وقابلية هذا النص ليصل إلى التطبيق العالمي. هذا الذي يعني أن القرآن العظيم متجاوز للسياقات التاريخية التي تنقل حقائق نسبية حول عبادة الله وحول المعيش الديني للبشرية بشكل عام. فعبادة الله عالمية والإيمان بالله عالمي. ضمن هذا المسار، الذي يريد أن يقوله حاج حمد من خلال طرحه حول القصص القرآني وحول القرآن العظيم عموما هو أن الاهتمام بالقرآن، لا يمكن أن يكون إلا مفاهيميا وليس تاريخيا. فالمفاهيم هي صياغات لسانية محضة تسمح لنا بالتعامل مع المتن القرآني من خلال البحث عن تقعيد لهذا النص عبر المفاهيم (Deleuze & Guattari, 1991). بكلمات أخرى، الذي يسمح به العمل المفاهيمي على القرآن هو إمكانية بناء أسس نظرية تؤدي بنا كمسلمين لاحقا إلى قراءة الواقع البشري والتاريخي والطبيعي والنفسي والاجتماعي، إلخ. من منظور شبكة مفاهيمية قرآنية تمثل القاعدة النظرية التي من خلالها نقرأ أنفسنا والعالم أيضا. وهذا الذي تعنيه، حسب المفكر أبو القاسم حاج حمد الآية القرآنية التالية "اقرأ باسم ربك"! أي اقرأ من خلال الشبكة المفاهيمية القرآنية وليس بواسطة الشبكة المفاهيمية البشرية التي تمثل، في الفترة المعاصرة، الآلهة التي تتجلى في مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية.

3. القرآن العظيم ورهان الرؤية الكونية المنافسة:

من منطلق ما أشرنا يعمق المفكر حاج حمد دراسته حول النص القرآني حيث يعتبره مصدر ليس لرؤية كونية مثل باقي الرؤى الكونية ولكن القرآن العظيم بالنسبة لحاج حمد هو باختصار مصدر الرؤية الكونية الحقيقية واللازمة، أي التي لا شك فيها. فالقرآن وكما يصف نفسه "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه" (فصّلت: 42). من هذا المنطلق يفهم المفكر أبو القاسم حاج حمد كل المواضيع القرآنية من عقائد ومن تشريع ومن قصص ومن أحكام، إلخ. على ضوء الصبغة الإلهية المطلقة للنص القرآني. هذا الذي يعني من منطلق حوارى *From the dialogical perspective* أن طروحات المفكر محمد أبو القاسم حاج حمد المتمحورة حول إلهية النص القرآني وحول ضرورة مفهومة مضامين القرآن العظيم، تواجه الطروحات الاستشراقية النسبية التاريخية المشككة في إلهية النص القرآني. بكلمات أخرى، إذا شئنا الإحالة إلى عبارة "القرآن المفاهيمي" فرمزيته الما وراثية وموضوعاته اللاهوتية ومبادئه الأخلاقية المتضمنة في النص القرآني، وتفسير آياته، كل هذا يعتبر على أنها انعكاسات للحكمة الإلهية والنظام الكوني للخالق عز وجل.

من منطلق ما أشرنا تقدم وجهات نظر أمير معزي وحاج حمد رؤى تعارضية حول طبيعة القرآن وكيف نتناوله كوثيقة تاريخية، من جهة، وكبعد روحي وكوني على ضوء التناول المفاهيمي. ضمن هذا المسار، في حين أن نهج معزي دياكروني حيث يوفر سياقاً تاريخياً قيماً وتحليلاً نصياً، فإن تفسير المفكر حاج حمد يسلط الضوء على الأبعاد الروحية والمتعالية للقرآن. هذا الذي يؤكد على أهمية الديمومة العقديّة والزمانية للقرآن العظيم (حاج حمد، 2011). باختصار، تثري مساهمات حاج حمد الدراسات القرآنية من خلال تشجيع العلماء والقراء على استكشاف القرآن من وجهة نظر تسمح بتعميق فهمهم لأهميته العميقة ككتاب مقدس وكنوز روحي وإرشاد للبشرية.

تاريخانية القرآن واستفزاز الأطر التقليدية في التعامل مع المتن القرآني:

أما محمد علي أمير معزي باحث ينصب تركيزه على تفسير القرآن كوثيقة تاريخية. يختلف نهجه في الدراسات القرآنية عن التفسيرات التقليدية التي تؤكد على قدسية القرآن وأصله الإلهي. بدلا من ذلك، ينظر معزي إلى القرآن على أنه نص متجذر بعمق في سياق تاريخي محدد (Amir-Moezzi & Dye: 2022)،

يعكس الوسط الاجتماعي والسياسي للجزيرة العربية في القرن السابع وقبل هذه الفترة وبعد تحقق ظهور المتن القرآني. بكلمات أخرى، وعلى عكس العلماء الذين يعطون الأولوية للتفسيرات اللاهوتية، تستلزم منهجية معزي فحصاً دقيقاً للأسس التاريخية والأثرية للقرآن. يتعمق في الجوانب اللغوية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية للنص القرآني، بهدف كشف أهميته ضمن الروايات التاريخية الأوسع للإسلام المبكر من دون تناول القرآن من منظور النص المعتقد في إلهيته، كما يفعل الباحث المسلم المؤمن بإلهية النص القرآني.

تسعى دراسة معزي إلى وضع القرآن في سياقه ضمن الأحداث والشخصيات والأيدولوجيات السائدة خلال فترة نزوله (Amir-Moezzi & Neuenkirchen 2023). يحلل الفروق اللغوية الدقيقة والاختلافات النصية والبنى السردية للقرآن، ويلقي الضوء على تطوره ونقله عبر التاريخ.

من خلال تبني منظور تاريخي، يحرر معزي خارج نطاق التقديس الديني، ويشجع البحث النقدي والتدقيق العلمي في النص القرآني. تؤكد أبحاثه على التفاعل الديناميكي بين الدين والثقافة والمجتمع، ويقدم تصور يركز على دور القرآن كقطعة أثرية تاريخية.

بشكل عام، يثري نهج محمد علي أمير معزي في الدراسات القرآنية الخطاب العلمي من خلال سد الفجوة بين التقاليد الدينية والبحث الأكاديمي. من خلال تحليله الدقيق وتفسيره السياقي contextual explanation. يساهم معزي في فهم أعمق للأهمية التاريخية للقرآن وتأثيره الدائم على الحضارة الإسلامية.

يدعو محمد علي أمير معزي إلى اتباع نهج علمي لتفسير الآيات القرآنية بعيداً، حسب رأيه، عن عبء الآثار اللاهوتية. ويشدد على أهمية إجراء استكشاف شامل لمعاني القرآن، مع التركيز على سياقاته التاريخية والاجتماعية والسياسية.

يضع منظور معزي القرآن كمورد تاريخي قيم، ويقدم نظرة مهمة بخصوص الوسط الاجتماعي والسياسي للجزيرة العربية في القرون السابقة واللاحقة لظهور القرآن. ويشجع العلماء على الخوض في الأبعاد اللغوية والثقافية والتاريخية للنص القرآني، والتعامل معه كنافذة على التاريخ والحضارة ليس فقط العربية ولكن الإنسانية أيضاً.

على الرغم من إعطاء الأولوية للتحليل التاريخي، يعترف معزي بالأبعاد الانفعالية والروحية المتشابكة مع العبادة القرآنية. إنه يدرك المشاعر المتنوعة التي تثار بين أتباع القرآن، بما في ذلك مشاعر الخوف والسعادة اتجاه الله والإشباع الروحي المعاش في الواقع الإسلامي. يسلط معزي الضوء على التأثير التاريخي العميق للتعاليم القرآنية على نفسية المسلمين، مؤكداً على أهميتها المتداولة في العالم الإسلامي من حيث أنها نتاج الصناعة والتدخل السياسيين المساهمان في توجيه الرأي العام وصياغته حسب أغراض استراتيجية تخدم، حسب رأي معزي الأنظمة السياسية الإسلامية عبر التاريخ (Amir-Moezzi, 2011).

من خلال الاعتراف بالطبيعة متعددة الأوجه للنص القرآني، يقدم معزي منظورا يدمج التحليل التاريخي مع الرهانات السياسية والاجتماعية والاستراتيجية للقرآن. كما يشجع الباحث معزي، عبر منهجه، العلماء على التعامل بشكل نقدي مع القرآن من دون التطرق إلى مكانته المقدسة في التقاليد الإسلامية. من خلال دعوته للاستكشاف الشامل والتدقيق العلمي، يساهم الباحث معزي في فهم تاريخي أعمق لمعاني القرآن المعقدة وأهميته المستمرة في المجتمع المعاصر.

4. تثوير حاج حمد للقرآن من خلال أشكالة الإجابات المغلقة للقارئ وصياغة هذا الأخير لمعاني جديدة:

يقدم محمد أبو القاسم الحاج حمد منظورا متميزا للقرآن، مؤكداً على أهميته المتعالية كرؤية كونية. على عكس العلماء الذين يركزون بشكل أساسي على السياق التاريخي للقرآن، يركز نهج الدكتور حاج حمد على جوهر القرآن الإلهي الخالد. لهذا لا ينظر الباحث السوداني إلى القرآن على أنه مجرد قطعة أثرية تاريخية رهاها مضي وانقضى. بدلا من ذلك، يرى أنه مظهر من مظاهر الإرادة الإلهية والإرشاد للكون بأسره. وهو يعتقد أن القرآن يلخص أسمى أشكال القداسة، ويفوق أي نص أو خطاب آخر في عمقه الروحي وأهميته.

من الأمور المركزية في تفسير حاج حمد لمكانة القرآن كوحي إلهي. فالقرآن ينقل الحقائق الأبدية التي تظل ذات صلة عبر الزمان والمكان. ويؤكد أن تعاليم القرآن وقيمه محصنة ضد الباطل، وتعمل كمصدر نهائي للإرشاد والتنوير والتوجيه لكافة المسلمين. من هذا المنطلق، وعلى أساس الرجوع إلى طروحات أبو القاسم حاج حمد، فلا يمكن فصل القرآن عن جوهر العقيدة الإسلامية، حيث يعمل كحجر زاوية للإيمان بالله وعبادته لوحده. هذا الذي يتأكد في ملفوظ التوحيد "لا إله إلا الله" النافية لكل إله والتي تحصر التأليه في

كائن واحد هو "الله" عز وجل. من هذا المنطلق يؤكد القرآن "المفاهيمي" الذي يتكلم عنه المفكر حاج حمد على دور هذا النص الإلهي في تشكيل الوعي الفردي والجماعي، وغرس القيم الأخلاقية، وتعزيز النمو الروحي داخل المجتمع الإسلامي.

من خلال تبني القرآن كروية كونية، يدعو حاج حمد المؤمنين إلى تجاوز حدود التفسير التاريخي النسبية والمطللة، ويدعو في الآن نفسه إلى الانخراط في تعاليم القرآن العظيم على المستويات: المعرفي والسلوكي والانفعالي والروحي بشكل عميق. وتؤكد وجهة نظر الباحث السوداني على أهمية القرآن الدائمة وقابليته للتطبيق العالمي، ويسلط الضوء على قدرته على إلهام البشرية والارتقاء بها عبر الثقافات والحضارات المتنوعة وتجاوزها على اعتبار أن التشريع القرآني هو تشريع إلهي ولا يضاهيه مختلف التشريعات البشرية (حاج حمد، 2010). فيؤكد محمد أبو القاسم الحاج حمد على الإمكانيات التحويلية للتعاليم القرآنية، ويحث العلماء المسلمين على تنوير أعماق ومحتويات النص القرآني. كما يدعو حاج حمد إلى اتباع نهج يتجاوز مجرد تلاوة أو حفظ الآيات القرآنية، مع التأكيد على أهمية التحليل النقدي والتأويل البناء المساهم في تعميق فهمنا للمتن القرآني.

كما يشجع حاج حمد العلماء المسلمين على ربط المفاهيم القرآنية بالتخصصات المعاصرة مثل العلوم الإنسانية والاجتماعية. وهو يعتقد أن دمج المبادئ الإلهية في هذه المجالات يثري الخطاب العلمي ويعزز فهمها أكثر شمولية للمجتمع البشري وسلوكه من حيث أن استوعاب العلوم الإنسانية والاجتماعية يكون على ضوء المفاهيم القرآنية وليس العكس حتى يتحقق المحافظة على علو المفهمة القرآنية باعتبارها مفهمة إلهية مطلقة بالمقارنة مع المفهمة في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تعد مفهمة بشرية نسبية محدودة بحدود الزمن والمكان.

من خلال الدعوة إلى نهج قرآني تحليلي-تركيب، يسعى حاج حمد إلى إظهار أهمية التعاليم القرآنية المواجهة للتحديات والقضايا الحديثة. وهو يشجع الباحثين على استكشاف كيف يمكن للمبادئ القرآنية أن تقدم نظرة ثاقبة لموضوعات مثل الأخلاق وعلم الاجتماع وعلم النفس والعلوم السياسية والاقتصاد وغير ذلك من المجالات.

تمتد رؤية حمد إلى ما هو أبعد من حدود الدراسات الإسلامية التقليدية، متصورا حوارا بين الحكمة القرآنية والمعرفة المعاصرة. وهو يعتقد أنه من خلال دمج المبادئ القرآنية في الخطاب الأكاديمي، يُمكن الباحثين من معالجة القضايا المجتمعية الملحة والمساهمة في تحسين المستوى الحضاري للبشرية.

5. الرهان الكوني للقرآن "المفاهيمي" عند المفكر حاج حمد:

بشكل عام، تعكس دعوة المفكر حاج حمد للمراهنة والمشاركة بعمق مع التعاليم القرآنية التزام الباحث المذكور في تعزيز النمو الفكري والتطور الروحي داخل المجتمع الإسلامي شريطة أن يكون على ضوء التعاليم القرآنية المذكورة. من هذا المنطلق يؤكد نَحج حاج حمد على أهمية تكيف رهانات الفكر الحديث وما بعد الحديث بمجالات بحثه المتنوعة والديناميكية مع رهانات القرآن العظيم المتعالية.

من منطلق ما أشرنا فإن دعوة محمد أبو القاسم الحاج حمد للقرآن كجوهر كوني تتجاوز الرؤية الضيقة للباحث معزي المراهن على السياق التاريخي للنص القرآني. فالمفكر حاج حمد يسلط الضوء على الأهمية الخالدة وعلى الحكمة الإلهية العميقة للقرآن العظيم المبرز لحقائقه الأبدية التي يتردد صداها عبر العوالم الكونية (الزمنية/المكانية) والروحية-البشرية حيث يرى أبو القاسم حاج حمد أنه لا يمكن "الفصل بين الباحث الإنسانية والمباحث الطبيعية" (حاج حمد ، 2004، صفحة 207)

على أساس ما أشرنا يتطلب، من زاوية، تجاوز وجهة نظر الباحث معزي، كما يتطلب الأمر وفي نفس الوقت تبني تصوّر المفكر حاج حمد الذي يدفعنا ويدفع الباحثين المسلمين إلى التفكير في طبيعة القرآن الإلهية المتعددة الأوجه والتأثير العميق للقرآن على الحضارة الإنسانية. فرهان ذلك هو أن الباحث معزي يتعمق فقط في الجذور التاريخية للقرآن، بينما يدافع حاج حمد عن جوهره الكوني للقرآن العظيم. هذا الذي يساهم في فهم أكبر وإثراء أعمق لكتاب الله عز وجل وإضفاء أهمية مركزية ودائمة له في المجتمع الإسلامي المعاصر. من منطلق ما كتبناه يظهر أن تصور حاج حمد يدعو إلى التفكير في دور القرآن كمنارة دائمة للهداية لكل البشرية. كما تظل فكرة استمرار تأثير القرآن في إلهام البحث الفكري والتنوير الروحي، فإنه يظل أيضا وبشكل أخص مصدرا خالدا للحكمة والتوجيه، يوجه الأفراد والمجتمعات نحو فهم أعمق للإيمان والهدف من العيش في الوجود تبعا للقصد الإلهي وليس من منطلق عبثي أو عشوائي.

الخاتمة: من القرآن السياقي إلى القرآن "المفاهيمي" و"العالمي":

في الختام، فإن المقابلة بين تصوري محمد علي أمير معزي ومحمد أبو القاسم الحاج حمد هو بمثابة شهادة على التوتر الديناميكي بين الفهم التاريخاني للقرآن وبين الاعتقاد في البنية المفاهيمية الخالدة للمتن القرآني. تقدم وجهات نظرهم المتباينة فهمين متعارضين حول طبيعة القرآن. فالتعارض الفكري بين أمير معزي وبين حاج حمد يقودنا إلى تبني الرؤية الكونية والمفاهيمية للقرآن العظيم التي يدافع عنها المفكر محمد أبو القاسم حاج حمد. هذا الذي يقودنا إلى الانخراط بشكل نقدي اتجاه مشروع الباحث أمير معزي، كما يدعوننا هذا البحث وفي نفس الوقت إلى تبني تعاليم وآثار رهانات مشروع مفهمة القرآن العظيم وكونية تطبيقه في مختلف مجالات الحياة البشرية.

من منطلق ما أشرنا تعد دعوة محمد أبو القاسم الحاج حمد لاستوعاب القرآن باعتباره وحيا كونيا تتجاوز سياقه التاريخي، مؤكدة على أهميته الخالدة وحكمته الإلهية. كما يؤكد منظور حاج حمد على الجوهر الأبدي للرسالة للقرآنية (حاج حمد، 2004).

كل ما أشرنا إليه يؤكد على تعقيد وثراء رؤية حاج حمد التي تساهم في تحديد رؤيتنا التفسيرية للقرآن العظيم. هذا الذي مما يدعو العلماء إلى تثوير الاجتهاد في التعامل مع النص القرآني من زاوية تتجاوز الحدود التقليدية لعملية التفسير وتشجيع على اتباع منهج التناول المفاهيمي لدراسة القرآن. هذا الذي يدفع الباحثون إلى الاستكشاف المستمر للخطاب القرآني فيوصل هؤلاء وإيانا إلى إلقاء الضوء على الحقائق الخالدة المميزة للنص القرآني ولما يقابله في الوجود الكوني. من هذا المنطلق سيساهم الباحثون في فهم أعمق للعقيدة الإسلامية. سيؤدي هذا التناول النقدي البناء إلى تمهيد الطريق لرؤى جديدة في جوهر التعاليم القرآنية، مما يعزز تقديرا أكبر لتأثيرها العميق على الأفراد والمجتمعات في جميع أنحاء العالم.

. قائمة المراجع:

- حاج، حمد، 2003 منهجية القرآن المعرفية، دار الهادي، بيروت
- حاج، حمد، 2004، جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، دار الهادي، بيروت .
- حاج، حمد، 2010، الحاكمية، دار الساقى، بيروت .
- حاج، حمد، 2011، القرآن والمتغيرات الاجتماعية والتاريخية، دار الساقى، بيروت .

- حاج، حمد، 2004، ابستمولوجية المعرفة الكونية، دار الهادي، بيروت .